مايسترو العبور
المشير أحمد إسماعيل

دكتـور محمـد محمـد الجوادى

دار الاطبـاء

إهداء

إلى الأستاذ عاطف حواس

هذا الكتاب

لم يكن فى تاريخنا الوطنى كله منْ خرج إلى النور القوى الأخاذ على حين فجأة من الجميع ، وبقوة ثابتة واثقة ، مثل هذا الرجل العظيم ، وقد ظهر فى النور ، وبقى ، وسوف يبقى فيه أبداً ، مهما حاول الناس على اختلاف المواقع من البسيطة ، أن يصوروا من أمر حرب أكتوبر ما بعدها أو ما قبلها ، ومهما تقادم الزمن ، ومهما تغايرت التحالفات .

فنصر أكتوبر هو نصر اكتوبر ، والحقيقة هى الحقيقة ، ولك أن تتصورها كيفما شئت ، ولكن تصورك لا يغير من أمرها شيئاً إلا فى تصور الذين يؤمنون بتصورك ، سواء كان الناس جميعا أو كنت وحدك . وتبقى الحقيقة .

وهكذا تبقى حرب اكتوبر ، لحظات فساعات فأيام مهدت لعصر من المجد لم يكن أهله يترقبونه إلا بعد حين ، فجاءتهم به ، أو ففاجأتهم به جنود ملحمة رائعة كان لها من أهل القيادة ثلة من أصحاب اليمين ، عزفوا جميعا فى آن واحد ، فاجتمعت قوتهم إلى بعضها ، فى قوة النظام والتنظيم التى ضاعفت من قدر القوات ، وذهبت كل الأساطير حين بزغ نور الحق أو حين بزغ نور قوة الحق فى سيمفونية رائعة كان كل أصحابها على اختلاف مواقعهم وآلاتهم خيار من خيار ، وكان المايسترو

الذى قاد العزف هو ذلك الرجل الصامت إلا من إصبع يضبط به ذلك التناسق الذى من غيره لم يكن العزف ليستقيم كما قدر له الله ، الصابر إلا حين أتيح له شعاع الأمل ، الجسور إلا حين أثنته التجارب المرة عن الثمار المرة !

كان أحمد إسماعيل نموذجاً للكفاءة المصرية ، تعمل طويلاً من دون أن تقفز إلى المواقع الأولى ، ولا أن تحاول أن تلفت النظر إلى ذلك ، وقد كان عندنا فى هذا الوطن فى الجيل السابق عدد كبير جداً من هؤلاء الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. وقد كان ذلك من حسن حظ هذا الوطن ، وإن لم يلق هؤلاء جميعاً تقديراً خيراً من ذلك التقدير العظيم أتاهم به الله – وآتانا – فيما احرز أحمد اسماعيل من نصر اكتوبر ، وقد يوافق القارىء كما وافقت الرأى القائل أن نجاح أحمد اسماعيل يومها لم يكن نجاح فرد ، ولكنه كان نجاح خلق ، وكان نجاح جيل قد لا يظفر الوطن بمثله بعد ذلك .

لم يكن أحمد إسماعيل مخترعاً ، ولا زعيماً ، ولا سياسياً ، ولا أول دفعته ، ولا أعلم قومه ، ولم يكن جباراً ، ولا ديكتاتوراً ، ولا معبوداً جماهيرياً ، ولا صاحب دعوة ، .. ولكنه مع ذلك حقق من الأعمال العظيمة ، ونال من العظمة ما فاق به كل هؤلاء جميعا ، ولقد كان ما حقق الرجل من هذا كله فوق كل ما يمكن لمحلل أن يتخيله ، وساعتئذ يتخبط بين انكار الفضل أو انكار القدر أو إنكار السبب والنتيجة ، ولكن الذين يؤمنون أن الإخلاص يصنع أعظم المعجزات ، لا يقعون فى مثل هذا ، والذين يبحثون في أقوال الجماعات السابقة يجدون قولا يقول ما أعظم الخير الذى يمكن صنعه فى العالم ، لو رغب

كل قادر على الخير عن إسناد الفضل إلى نفسه .. وقد يكون فهم هذا القول مدخلاً إلى فهم سر عظمة رجل ، قد لا يكون صاحب لحن النصر مائة فى المائة ، وقد لا يكون صاحب أى دور فيه إلا الدور الذى من دونه لم يكن لحن النصر ليعزف على هذه الصورة .. دور المايسترو .

وبعد ، فإن المؤلف قد لا يجد حرجا أن يقول : إن الذى دفعه إلى هذا الكتاب (وإلى كتاب آخر عن البطل الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض) ، أمر صعب ، وليس من شك أن من أصعب الأمور على النفس ، وبخاصة إذا كانت تنشد الإنصاف ، أن تفجع غير مرة ، حين تفاجأ بالشباب لا يعلم من أمر نصر وطنه الذى لا يزال يهز التاريخ هزا ، ومن أمر قواده ، ومن أمر حروبه ، ولو قدراً يسيراً من المعرفة العامة حداً تميز به بين الحق والباطل ، الباطل الذى تركناه ينتشر فى الخارج ، ويتسرب إلى الداخل ، فيتلقاه هؤلاء مشوها ، يظنونه البهريز ، وهو السم الزعاف .

إلا أن نفوس جيلنا الجديد لتواقة إلى أن تعلم ، وإلى أن تخلص فى حكمها على الأمور ، ولكنها مع ذلك تريد ما تقرأ فيه من دون أن ينتابها الشعور بالملل من الانشاء ، حتى وإن انتابها الشعور بالملل من كثرة الحقائق وراء بعضها .. وقد يكون هذا هو ما في هذا الكتاب ، وما ليس فيه .

ولا يفوتنى فى نهاية هذه المقدمة أن أزجى الشكر للواء أنيس اسماعيل شقيق المشير ، وللسيدة سميحة الشلقانى رفيقة حياته ، وللأستاذ محمد أحمد اسماعيل وللاستاذ محمد فيصل عبد المنعم .

دكتور محمد الجوادى
ص ب ١٧٧ الأورمان

ولد المشير أحمد إسماعيل فى الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٧ ، لأم من حى السكاكينى ، وأب من حى باب الخلق ترق فى سلك البوليس حتى صار مأمورا للإدارة بأقسام الشرطة ، ثم استقر فى القاهرة سنة ١٩١٤ مأمورا لضواحى العاصمة .

وكان للمشير أخوان وخمس أخوات ، فأما الأخ الأكبر فهو الدكتور محمد فؤاد أطال الله بقاءه ، وكان مديرا عاما بوزارة الصحة إلى أن أحيل الى التقاعد ، وكان يكبر المشير باثنى عشر عاما ، فكان المشير ينظر إليه كوالد ، وأما الأخ الثانى فهو اللواء محمود أنيس ، وكان يصغر المشير بثلاثة أعوام ولم يكن أحد يصغر المشير من إخوته سواه .

فى كلية التجارة

ولما انتهى صاحبنا من دراسته الابتدائية فى عابدين ، التحق بمدرسة شبرا الثانوية فأظهر تفوقا فى الدارسة ومهارة فى لعب كرة القدم ، ولم يلبث أن كان واحدا من فريق الكرة بالمدرسة ، ثم حصل على البكالوريا سنة ١٩٣٤ فذهب يبغى اللحاق بالكلية الحربية ، فلم تقبله الكلية ، فحط رحاله فى كلية التجارة ، ولكنه كان يذهب إلى الكلية الحربية كل حين لاعباً فى فريق كلية التجارة حين تقام المباريات بين فريق الحربية والتجارة فكأنما كان فى التجارة وعينه على الحربية ، إلى أن فتحت الكلية الحربية أبوابها فى العام التالى ، وتقدم صاحبنا فلم يكن حظه فى الثانية خيراً من حظه فى الأولى ، فمضى فى دراسته حتى اجتاز

السنة الثانية فى كلية التجارة بنجاح ، وتقدم إلى الحربية فلم يواته الأمل للمرة الثالثة ، فعاد ليتلقى دروس السنة الثالثة من كلية التجارة حتى فتحت الكلية الحربية أبوابها فى ربيع ١٩٣٧ فقبلت أحمد إسماعيل فى السابع عشر من مارس طالبا بين طلابها .

أول وسام

تجلى حب أحمد إسماعيل للعسكرية منذ كان طفلا فى السابعة من عمره يعيش مع أسرته قريبا من قصر عابدين ، فكان من عادته ان يخرج عصر كل يوم فينتظر طابور حرس الملك تتقدمه الفرقة الموسيقية العسكرية وهى تطوف بميدان عابدين حتى شارع حسن الأكبر فيمشى خلفها مقلداً خطوات الجنود ، حتى كان ذات يوم نسى فيه الطفل الصغير نفسه ولم يلتفت لسيارة كانت تمر بسرعة بالقرب منه ، ولم يتنبه السائق أن وراء هذا الطابور الذى انتظره حتى عبر طفلا صغيرا ، وصدم صاحبنا وكسرت ساقه اليسرى فنال بهذه الإصابة — على حد تعبيره فيما بعد — أول وسام على إيمانه بالعسكرية .

صبى جاد

وكان صاحبنا فى صباه جاداً ميالاً للصرامة والنظام ، دقيقا فى كل تصرفاته لا تشغله اهتمامات الفتيان من أضرابه ، بل كان يبحث عن كتب التاريخ وسير قادة الإسلام ليقرأها ، ولما كان فى دراسته الثانوية

كان حريصا على اقتناء الكتب التى تروى قصص القادة العسكريين وحروب القرون الماضية ، فإذا قرأ حرص على أن يسجل تعليقاته على قراءاته ، ثم يذهب فيناقشها مع أخيه الأصغر وأقرانه .

زمالة السادات

وعرف صاحبنا المغفور له الرئيس السادات فى شبرا الثانوية سنة ١٩٣١ حين جمعهما البعد عن لهو الصبا ، والاعتداد بالنفس ، ثم كان السادات شاويشاً على أحمد إسماعيل وجمال عبد الناصر وهم طلبة فى الكلية الحربية لأن الحظ واتاه فى الالتحاق بالكلية الحربية قبلهما بسنة ، وتخرج أحمد إسماعيل فى الكلية الحربية فى يوليو ١٩٣٨ فبعث به الى منقباد التى سبقه إليها الرئيس السادات ، وفى منقباد كانا ينامان فى حجرة واحدة من ثكنات الكتيبة الرابعة مشاة ، ثم انتقل الرجلان معا إلى السودان ، وجمعهما الجيش مرة أخرى فى الصحراء الغربية ثم فى سيناء قبيل الثورة .

أول الخيط

وفى أول يوليو ١٩٣٨ تخرج أحمد اسماعيل فى الكلية الحربية برتبة ملازم فعمل ضابطا للاستطلاع ، وقائداً لفصيلة فى الكتيبة الرابعة مشاه العاملة فى منقباد ، وعرف صاحبنا وهو ملازم عزيز المصرى الذى أعجب به وتوسم فيه الخير وشمله بتوجيهاته فى هذا العام ، وفى أول مايو

سنة ١٩٤٠ رقى الى رتبة ملازم أول وظل فى عمله حتى اختير فى السادس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٠ قائداً لسرية بلواء الأساس ، ثم مدرساً بمدرسة الأسلحة والذخيرة فى التاسع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٤١ ، وفى اثناء ذلك منح رتبة النقيب فى الخامس من سبتمبر سنة ١٩٤٢ .

وبعد تخرجه بسبع سنوات بالضبط اختير النقيب احمد اسماعيل فى أول يوليو ١٩٤٥ ليشغل منصب أركان حرب الكتيبة الثانية مشاة ، ولم يتم الرجل فى هذا المنصب سنتين حتى اختير فى العشرين من يونيو سنة ١٩٤٧ مدرساً بمدرسة المشاة ، ثم ترقى لرتبة الرائد فى السابع من يوليو سنة ١٩٤٨ ، وتولى قيادة سرية فى رفح فى السابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وبعد ذلك بقليل اختير أركان حرب لواء مشاة فى أول ابريل سنة ١٩٤٩ .

الأول على الإنجليز

وفى أثناء ذلك اختير أحمد إسماعيل ليكون واحدا من أعضاء بعثة تدريبية فى دير ياسين بفلسطين ، وكانت الحكومة الانجليزية هى القائمة على أمر هذه البعثة ، ولكن هذا لم يكن حائلا بين أحمد إسماعيل وبين احتلال موقع الأولية على زملائه من المصريين والإنجليز .

وسافر أحمد إسماعيل بعد ذلك فى دورة تدريبية إلى انجلترا ، وعاد صاحبنا بعد أن اجتاز هذه الدورة قبل حرب ١٩٤٨ ، وشارك أحمد اسماعيل فى حرب ١٩٤٨ مشاركة فعالة ، فأقام خطاً دفاعياً حصيناً فى



رفح كان محل اهتمام ودراسة القيادات العسكرية بعد الهدنة ، ثم قاد أحمد إسماعيل الدفاع ضد الهجوم الصهيونى على العريش .

أركان حرب

وما أن انتهت هذه الحرب حتى التحق صاحبنا بكلية أركان الحرب ، وتخرج فيها سنة ١٩٥٠ يحمل درجة الماجستير فى العلوم العسكرية ، وكان ترتيبه الأول ، وفى يمينه شهادة تقدير لكونه أحسن طالب .

ويأتى الحادى عشر من فبراير ١٩٥١ فيحصل أحمد إسماعيل على رتبة المقدم ، ثم يختار هذا المقدم مدرسا بكلية أركان الحرب التى تخرج فيها عن قرب ، وظل فى عمله هذا حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وفى أعقابها يختار أحمد إسماعيل لتولى أركان حرب فرقة مشاة فى السادس من أغسطس سنة ٥٢ ، ثم يعود بعد ثلاثة أسابيع فى أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ للتدريس فى كلية أركان الحرب .

صفقة الأسلحة التشيكية

ويتولى أحمد إسماعيل قيادة الكتيبة السابعة مشاة فى السابع من سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، ويتهيأ له من خلال هذا الموقع القيادى أن يشارك فى صنع أخطر الأحداث التى شكلت مستقبل هذا الوطن ، إذ يختار عضوا فى لجنة المفاوضات العسكرية مع بريطانيا ١٩٥٤ ، ثم يشترك فى صفقة الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥ ، ويعود ليتولى بعد وصول الصفقة تكوين أول تشكيل مقاتل وفق عقيدة القتال الشرقية .

نشأة الصاعقة

وفى اليوم الأول من يناير سنة ١٩٥٥ حصل أحمد إسماعيل على رتبة العقيد ، وفى هذا العام فكر العقيد أحمد إسماعيل وهو يومئذ قائد الكتيبة السابعة مشاة فى إنشاء نواة الصاعقة المصرية ، وتخير لها مجموعة من أكثر ضباط الرتب الصغيرة ايمانا وجرأة وتفوقا فى العلوم العسكرية دراسة وتطبيقا ، ووجه الرجل الدعوة لهؤلاء الضباط على حفل إفطار فاخر فوق سد عال فى أبو عجيلة اسمه « سد الروافع » وارتدى الضباط أفخر ما عندهم من الثياب ، وكانت المفاجأة التى أعدها لهؤلاء هى تدريب عنيف للصاعقة ، إذن كان الافطار وهميا ، وبدلا منه أصدر إليهم التعليمات أن يقفزوا من علو ٢٥ مترا بكامل ملابسهم الرسمية فى الماء ، وهكذا كانت نشأة نواة الصاعقة فى القوات المسلحة ، وقامت الصاعقة فى نفس العام بهجمات خاطفة على العدو الإسرائيلى بتخطيط من صاحبنا العقيد أركان حرب أحمد إسماعيل على .

يتسلم بورسعيد

وفى الثانى من إبريل ١٩٥٦ تولى أحمد اسماعيل قيادة اللواء الثالث مشاة ، وكان هذا اللواء من الألوية المتمركزة فى سيناء ، وشارك أحمد اسماعيل بلوائه فى التصدى للعدوان الثلاثى حين وقع فى التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٥٦ ، واستطاع صاحبنا أن يتقدم بلوائه حتى

وسط سيناء ، واشتبك فى عدة معارك تصادمية مع العدو ، ثم صدرت التعليمات له بالتوجه إلى مدينة بورسعيد ، وكتب له الله أن يكون هو القائد الذى يتسلم مدينة بورسعيد بعد ما خرج منها آخر جندى أجنبى ، ورفع أحمد إسماعيل علم مصر على بورسعيد فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٥٦ وفى هذه الحرب تأكدت موهبة أحمد اسماعيل فى صعيد اخر حين مارست قوات الصاعقة [التى كان قد انشأها فى العام السابق] عملياتها ضد العدو الإسرائيلى طوال معارك بورسعيد على أعلى درجة من الكفاءة والاقتدار .

أكاديمية فرونز

وما أن انتهت حرب ١٩٥٦ حتى التحق أحمد إسماعيل باكاديمية فرونز العسكرية فى روسيا ، وتخرج فيها عام ١٩٥٧ مشهوداً له بالكفاءة والامتياز ، ورقى إلى رتبة العميد فى اليوم الأول من يناير سنة ١٩٥٨ ،ثم عاد إلى التدريس حيث اختير كبيرا لمعلمى الكلية الحربية فى الحادى والثلاثين من مارس سنة ١٩٥٩ ، واتيح له أن يواصل مهمة اعداد الجيل الجديد من الضباط المصريين فى الكلية الأم بعد ما قام بالتدريس من قبل فى ثلاثة مدارس : مدرسة الأسلحة والذخيرة ، ومدرسة المشاة ، وكلية أركان الحرب .

فى شعبة العمليات

واستمر العميد احمد اسماعيل فى هذا الموقع من مواقع الأستاذية

سنة ونصف السنة ، وبعدها اختير رئيسا لواحد من أقسام شعبة العمليات فى الثانى عشر من سبتمبر ١٩٦٠ ، وهكذا أتيح للرجل أن يضيف إلى خبراته مجالا حيا من مجالات التخطيط الميدانى .

أول تشكيل مقاتل

وفى الخامس والعشرين من يونيو سنة ١٩٦١ ، تولى رحمه الله رئاسة أركان حرب المنطقة العسكرية الشرقية على سبيل النيابة ، وفى اثناء ذلك منح رتبة اللواء فى اليوم الأول من سنة ١٩٦٢ ، ثم توالت المناصب القيادية على أحمد إسماعيل ، وتوالى أحمد إسماعيل على تولى هذه المناصب ، فعين قائدا للفرقة الثانية مشاة فى السادس من يوليو سنة ١٩٦٢ ، فأعاد تشكيل هذه الفرقة على أحدث ما يكون التشكيل ، فكان لمصر بها أول تشكيل مقاتل بالاسلوب الحديث ، وقد ظهر اثر هذا التشكيل فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ إذ كانت هذه الفرقة التى استطاعت أن تدمر اللواء ١٩٠ باكمله وان تأسر قائده عساف ياجورى . ولم تكن هذه النتيجة مفاجئة لأحمد إسماعيل الذى كان لا يفتأ يقول ان هذه الفرقة فرقتى ، وأود أن أرى جهدها فى هذه الحرب .

رئيس هيئة التدريب

ثم أنشئت قيادة القوات البرية ، وأسندت إلى أحمد إسماعيل مهام منصب أركان هذه القوات ، وبقى صاحبنا متوليا المهام الجسيمة لهذا المنصب حتى اختير فى الرابع عشر من مايو سنة ١٩٦٥ رئيسا لهيئة

تدريب القوات البريه ، وهو المنصب الذى كان أحمد إسماعيل يشغله حين قامت حرب ١٩٦٧ أو حين وقعت نكسة ١٩٦٧ لأن الحرب لم يتح لها فى الحقيقة أن تقوم .

قائد الجبهة

وتولى اللواء أحمد إسماعيل رئاسة هيئة تدريب القوات المسلحة أيضاً فى الرابع عشر من يونيو ١٩٦٧ حين أعيد تشكيل القيادة بعد النكسة مباشرة ، ولكن صاحبنا لم يمكث فى هذا المنصب الا أسبوعين ريثما تمت إعادة تنظيم القوات المسلحة بعد الحرب وأُسندت إليه فى أول يوليو ١٩٦٧ قيادة المنطقة العسكرية الشرقية وقيادة الجبهة .

أول خط دفاعى .. وإيلات

وقعت النكسة وتأثر أحمد إسماعيل بالطبع أشد التأثر ، وانعكس ذلك على نفسيته وسلوكه وعلاقاته ، فكان يرفض الخروج الى أى مكان حتى تزول آثار الحرب ، وتولى أحمد إسماعيل كما ذكرنا قيادة الجبهة فى اعقاب الحرب فأسس أول خط دفاعى فى الضفة الغربية لقناة السويس ، وقاد أولى المعارك وأكبرها بعد حرب يونيو فى رأس العش والجزيرة الخضراء ، ووضع خطة إغراق المدمرة إيلات ، وكان لإغراق هذه المدمرة أكبر الأثر فى رفع الحالة المعنوية للمقاتلين والشعب على حد سواء ، ولم تكن معركة رأس العش فى الواقع إلا بداية تطويرنا للبناء

العسكرى الى مرحلة الصمود ، وقد وقعت هذه المعركة فى أول يوليو ، وتمكنت قواتنا فيها من دحر هجوم المدرعات الإسرائيلية على بور فؤاد ، ولم تكتف بذلك ، وإنما أخذت المدفعية والطيران المصرى يقصفان مواقع العدو على طول الجبهة يومى ١٤ ، ١٥ يوليو سنة ١٩٦٧ ،وعندئذ أدركت إسرائيل ان على الشاطىء الآخر لقناة السويس جنودا عبروا مرحلة الهزيمة إلى مرحلة الصمود .

بعد النظر

ويروى الأستاذ أحمد بهاء الدين فيما بعد ذلك أنه زار الجيش بعد إغراق المدمرة إيلات وسأل أحمد إسماعيل رحمه الله عن توقعاته لرد الفعل الإسرائيلى ، فأجابه صاحبنا أنه يتوقع أن يقوموا بأى شىء ، ولكنه يعتقد انهم سيضربون معامل تكرير الزيتية بالسويس ، وكان أحمد اسماعيل يصدر أوامره باخلاء ميناء السويس قبل الصباح من أى سفينة مهما كانت ، على أن يتم ذلك فى منتهى الهدوء ، قال الاستاذ أحمد بهاء الدين : « وقبل الفجر بدأت نيران الإسرائيليين تنهمر على معامل التكرير » وكأنما كان أحمد إسماعيل ينظر إلى الغيب من وراء الستار .

امهلنى ساعتين

وكان أحمد إسماعيل يركز فى الأوقات التى تلت يونيو ١٩٦٧ على إتاحة الفرصة للجيش فى القتال حتى يشعر المقاتلون بالارتياح ،

ذلك أنه كان يدرك تمام الإدراك مدى معاناة الجيش من حالة نفسية صعبة مردها أنه لم يأخذ فرصته ليقاتل فى يونيو ١٩٦٧ وكان صاحبنا لا يفتأ يؤكد أن الجيش المصرى لم يهزمه اليهود فى ٥ يونيو ، وانما هزمه الذين أرسلوه الى المذبحة بغير خطة وبغير استعداد ، وحدث أن الرئيس جمال عبد الناصر اتصل به ذات مرة وقال له ان الأمم المتحدة ترجو أن نوقف الضرب ، واستمهل أحمد إسماعيل الرئيس الراحل قائلا : « أمهلنى ساعتين حتى نتم معركتنا ، وبعدها نوقف الضرب » .

مكتب ميدانى فى ملجأ

وضرب أحمد إسماعيل المثل والقدوة لمساعديه من القادة فى التقشف والتحمل ، فاتخذ لنفسه وهو قائد الجبهة مكتباً ميدانياً صغيرا داخل ملجأ بسيط ، واستطاع من هذا الموقع أن يبذل جهده فى إعادة بناء القوات المسلحة ، فجمع شتات القوات المنسحبة من سيناء ، وأعاد تنظيمها وتدريبها وتسليحها ، فى نفس الوقت الذى استطاع فيه مواجهة العدو ومنعه من التمادى فى عدوانه .

والنصر بعد ذلك مؤكد

ويروى واحد من المراسلين العسكريين أنهم زاروا الجبهة فى يناير ١٩٦٨ ، وكان أحمد إسماعيل قائدا للجبهة فاستقبلهم ، وظل يستمع اليهم فى صبر وأناة ، ولم يكن حديثهم ليتعدى عبارات اليأس يتبادلونها واحدا بعد آخر ، فلما انتهوا مما قدروا عليه من حديث اليأس الذى

استمع اليه صاحبنا الى النهاية ، قال لهم : « **إنكم تعبرون عن أنفسكم ، ولا شأن لجنودى باليأس والتشكيك لأن واجبنا وقدرنا أن نجتاز الهزيمة ونحقق النصر لأمتنا ، لأن الجندية هى الرجولة أولا ، وهى البذل والعطاء ثانيا ، والنصر بعد ذلك مؤكد** » ثم التفت اليهم وقال « على كل منكم أن يحاسب نفسه دائما : هل أديت عملى » ولا يكفى هذا بل عليه أن يسأل نفسه هل تفوقت فى عملى ؟ .. بهذا المقياس فقط يمكن أن نجتاز هذه الهزيمة ، ونهزم عدونا » .

وقد عبر الرئيس السادات عن جهود احمد اسماعيل فى هذه الفترة بابلغ عبارة حين قال فى البيان الذى نعاه فيه : « **ولقد كان احمد اسماعيل على فى أيام الهزيمة قائد خط الدفاع الأخير ، و كان فى أيام النصر قائد خط الهجوم الأول** » .

قصف خط بارليف

ثم تولى أحمد إسماعيل رئاسة هيئة عمليات القوات المسلحة فى الخامس عشر من إبريل ١٩٦٨ ، فأشرف على تخطيط عمليات الاستنزاف الرئيسية ووضع أول خطة عسكرية لقصف خط بارليف بالمدفعية الثقيلة على طول الجبهة ، وهكذا بدأت مرحلة الاستنزاف فى معاركنا ضد العدو .

يخلف عبد المنعم رياض

وظل أحمد إسماعيل يعمل رئيسا لهيئة العمليات مع الفريق (أول) عبد المنعم رياض رئيس الأركان والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة حتى اختار الله عبد المنعم رياض إلى جواره مع الشهداء فى التاسع من مارس ١٩٦٩ ، واختير احمد إسماعيل رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وبحكم منصبه أختير أمينا عاما مساعدا للجامعة العربية للشئون العسكرية ، وواصل الرجل فى موقعه الجديد ما بدأته القيادة المصرية من قبل بمشاركته من إعداد وتجهيز لقواتنا المسلحة ، واستمرت معارك الاستنزاف معبرة أروع تعبير عن روح مصر الأبية التى لا تهزم ، وجاءت معارك العمق التى أراد العدو بها أن يبين عن مدى طول يده ، فابانت له مصر عن صمود رائع .

فى حرب الاستنزاف

وكان الرجل طوال هذه الحرب يظل ساهرا فى مكتبه لساعة متأخرة من الليل ، انتظارا لعودة أفراد الدوريات التى كانت تعبر قناة السويس وتهاجم مواقع العدو ، فإذا اطمأن الى عودتهم بكامل عددهم ذهب فنام قرير العين مستعدا ليوم آخر من الجهاد ، وإذا علم أن واحداً من هؤلاء الجنود قد استشهد عاد الى منزله ومعه الألم و القلق والحزن على روح هذا الجندى ، ولم يكن القريبون منه يعرفون شيئاً يحزنه ويؤثر فى نفسه مثل سماعه لخبر استشهاد جندى من جنوده .

المواقع الهيكيلية

وكان أحمد إسماعيل يشجع ضباطه وجنوده على الابتكارات والتفكير فى طرق جديدة للهجوم والدفاع ، ومن أهم الابتكارات التى تبناها الرجل فى اثناء هذه الحروب فكرة « المواقع الهيكلية » وهى الفكرة التى كانت من أفكار عبقرى العسكرية المصرية عبد المنعم رياض ، وقد نجحت هذه الفكرة نجاحا كبيرا ، وصارت مصيدة لهجمات العدو وغاراته ، وأهدرت قيمة كثير من ضرباته .

الإعفاء

ولكن احمد اسماعيل لم يبق فى موقعه هذا أكثر من ستة شهور ، وكيف له أن يبقى فى مثل هذا الموقع فى ذلك الوقت الذى برزت فيه على السطح والتعصبات ، وتنافست مراكز القوى على إبراز مقدرتها على الحل والربط ، واستصدر وزير الحربية قرارا من الرئيس جمال عبد الناصر بعزل أحمد إسماعيل وتعيين اللواء محمد أحمد صادق رئيسا للأركان ، ونشرت الصحف اليومية هذا القرار صباح يوم الجمعة التاسع عشر من سبتمبر ١٩٦٩ ، وعلى الرغم من أن احمد إسماعيل لم يكن معروفا يومها لجماهير الشعب ، الا أن كثير من الناس بدأوا يتساءلون فيما بينهم عن سر هذا القرار ، وتصدى صحفى مرموق للتعليل فذكر أن السبب فى عزل رئيس الأركان يرجع إلى أنه سحب قوات من على ضفاف البحر الأحمر للتدريب ، فجاءت إسرائيل بعدد

من جنودها استطاعوا العبور الى الضفة الغربية ، والحق أن أحمد إسماعيل كان بريئا من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وعلى الرغم من هذا ، فان الأقلام التى ذهبت تؤرخ لأحداث هذه الفترة ، لم تجد ما يمنعها من أن تروى هذه الرواية ، التى تثبت أن ليس لرئيس الأركان فيها وزر على الإطلاق ، ولكن مأساة تاريخنا المعاصر أن الخلود كثيرا ما يكون من حظ الروايات الأولى ، التى يسكت عنها المظلومون فيها ، لأنه ليس للرد بالحق عليها سبيل ، فى أوقات لا يكون فيها مكان إلا لصوت واحد !

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى عزل فيها أحمد اسماعيل وحيل بينه وبين اداء واجبه الوطنى ، فقد سبقتها محاولات أخرى لم تنته إلى مثل هذه النهاية .

الكونغو

وأولى هذه المحاولات كادت تذهب بالرجل إلى السلك الدبلوماسى .. فمن الأدوار التى لعبها أحمد إسماعيل فى القوات المسلحة مجهوداته فى انشاء القيادة العسكرية الأفريقية فى أوائل الستينات مع عدد من الثوار الأفارقة ، وقد عقد هؤلاء أول مؤتمر عسكرى فى القاهرة ، ثم ابتعث أحمد إسماعيل الى الكونغو مستشارا عسكريا للرئيس لولومبا فيما بين مارس وسبتمبر سنة ١٩٦٤ ، وكان الستار الذى اتخذ لصاحبنا هو انه فى البعثة الدبلوماسية عضو لمصر فى الكونغو ، فلما انتهت مهمة

[illegible] بين عمله فى وزارة الخارجية سفيرا ، أو عودته إلى الجيش ، ففضل العودة إلى الجيش المصرى ، على أن الذين خيروه كانوا يودون لو أغراه طعمهم فعمل سفيرا ... وقد كانت هذه هى أولى محاولات أبعاد الرجل .

فى درج مكتب عبد الناصر !

وجاءت المحاولة الثانية فى المرحلة التى اشتد فيها الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وشمس بدران سنة ١٩٦٦ ، وتقرر إبعاد احمد اسماعيل الى منصب كبير فى مؤسسة تعمير الصحارى ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوقع القرار وإنما احتفظ به فى درج مكتبه ، وروى الواقعة لاحمد اسماعيل فى أعقاب النكسة .

وفى أعقاب حرب يونيو لم يبق أحمد اسماعيل خارج مواقع المسئولية إلا ثمان وأربعين ساعة ريثما أعيد ترتيب الأمور فى القيادة ، وعاد صاحبنا ليتسلم قيادة الجبهة ، وليكون الشخص الثالث فى الجيش المصرى بعد القائد العام الفريق فوزى ورئيس الأركان اللواء رياض .

وكان الرئيس السادات فى يوغوسلافيا حين عزل احمد اسماعيل من رئاسة الأركان ، ويروى مرافقوه إنه لما علم بالنبأ عقب وهو حزين : لا حول ولا قوة إلا بالله .. خسارة والله .. إنه كفاءة عسكرية نادرة .

ولعل الرئيس جمال عبد الناصر نفسه أحس أن قرار إعفاء أحمد اسماعيل لم يكن فى موضعه ، وبخاصة انه وقع هذا القرار وهو فى حالة صحية استدعت راحته التامة ، فقرر لاحمد اسماعيل بعد فترة قصيرة من عزله معاش وزير .

ولم يكن هناك من سبب لهذه المحاولات المتكررة لابعاد الرجل إلا أنه عسكرى ممتاز ، وقيادى كفء ، خال من نقط الضعف ، ليس إلى السيطرة عليه من سبيل ، وليس إلى احتوائه من منفذ ، هدفه الأعلى خدمة وطنه دون تحيز الى فريق أو تحزب الى طائفة .

ولو بالأفارول

على أن الفترة التى ظل أحمد إسماعيل محالا إلى المعاش فيها ، ومبعدا عن الخدمة ، كانت من أروع فترات حياته ، ذلك أن الرجل لم يخلد الى الراحة بعد إجهاد ولا إلى السكينة بعد جهاد ، ولم يكف يوما عن التقصى والبحث فى المعارف العسكرية الجديدة وحوَّل مكتبه فى منزله الى غرفة عمليات ، وأخذ يعد الخطط للقتال ، وانتهى صاحبنا من وضع خطة جسورة للمعركة ، وكان ينوى إرسالها الى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكنه خشى أن تفسر هذه الخطوة على أنها طلب استرحام للعودة إلى الجيش ، واحتفظ أحمد إسماعيل بالخطة فى درج مكتبه ، وعبَّر لزملائه عن أمله فقال : « كل ما اطلبه هو أن يسمح لى بالعودة

الى الجيش لعبور القناة اذا وقعت الحرب » وعبر لاسرته عن امنيته فى ان يرتدى « الأفارول » ويذهب ليحارب [ولكن الله الكريم والعليم بخفايا الصدور حقق لأحمد إسماعيل أضعاف ما تمنى] .

رئيس المخابرات العامة

ولما قام الرئيس السادات بحركته التصحيحية فى الخامس عشر من مايو ١٩٧١ وقد كان جهاز المخابرات من الأجهزة التى قادها رؤساؤها إلى أن تدين بالولاء لمراكز القوى ، ولم تكن هذه الأجهزة جهازا ولا جهازين ، ولكنها كانت أخطر أجهزة الدولة ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان أقوى من هؤلاء جميعا ، وانتصر الرئيس السادات وشغل هذه المناصب بالوطنيين المخلصين ، واختار أحمد إسماعيل ليكون رئيسا للمخابرات العامة ، وعاد الرجل الذى قضى حياته فى خدمة الوطن بالقوات المسلحة ، ليخدم الوطن أيضاً على رأس جهاز المخابرات .

قاموس المخابرات

وكان أحمد إسماعيل يؤمن أن مهمة المخابرات الأولى هى حماية المصريين من العدو وأن أول ما ينبغى عليه القيام به هو إعادة الثقة بين الجهاز والناس كل الناس ، ومن هذا المنطلق استطاع احمد اسماعيل ان يمسح كلمات « غسيل المخ » و« ادارة التعذيب » و« السجن الحربى » من قاموس المخابرات العامة ، ولم يكن هذا بالأمر السهل .

وكان صاحبنا يؤكد أن جهاز المخابرات لن يكون فى يوم من الأيام سيفا مسلطاً على رقاب الشعب العربى ، ولكنه سيكون السند والصديق المخلص لكل مواطن فى الداخل ، وفى الخارج ، وهكذا استطاع أحمد إسماعيل أن يساهم فى تحقيق إنجاز من أعظم إنجازات عهد الرئيس السادات وهو القضاء على الحالة التى وصلت إليها العلاقات العربية المصرية بسبب الأنشطة التى كانت المخابرات المصرية تقوم بها فى داخل البلاد العربية .

المجتمع المفتوح

وكان احمد إسماعيل مع أنه العسكرى القديم يلقن ضباطه فى المخابرات ضرورة الإيمان بالحرية الفردية والمجتمع المفتوح ، ذلك أن حماية المجتمع ورفاهيته هى أهم واجبات المخابرات ، وليس إليهما من سبيل لا يعطى للحرية الفردية دورها الرائد ، وهكذا جعل صاحبنا من جهاز المخابرات مدرسة حقيقية للوطنية التى تعتمد على العلم والمعرفة ، والقراءة المستمرة ، والمتابعة الدورية وتتصف مع ذلك بالعفة والأمانة ، ولا تنتظر المقابل إلا فى إحساسها برضا الضمير وأداء الواجب وخدمة الوطن .

وتمكن جهاز المخابرات العامة فى عهد أحمد اسماعيل من ضبط أخطر قضايا التجسس ، ولعل من أشهر هذه القضايا تلك التى يصورها فيلم « الصعود إلى الهاوية » ، بل إن الجهاز لم يصل فى عهد أى من

رؤسائه الى اكتشاف مثل هذا العدد الذى وصل اليه تحت قيادة احمد اسماعيل ولم تكن المسألة هنا مسألة كم ، ولكنها كانت مسألة كيف قبل ان تكون مسألة كم .

هل كان ارهاصا ؟

على أن كثيرا من المراقبين السياسيين كانوا ينظرون الى تعيين الرئيس السادات لاحمد اسماعيل مديراً للمخابرات على أنه تمهيد من الرئيس السادات لتولية الرجل أمور الجيش ريثما تتهيأ الأمور لذلك ، ومن الأدلة التى يسوقونها على صحة هذا الرأى أن أحمد إسماعيل كان هو الرجل العسكرى الذى رافق الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء المصرى إلى موسكو بينما بقى وزير الحربية فى القاهرة ، وعلى أية حال فلو كان هذا الذى فعله الرئيس السادات تمهيدا فهو نعم التمهيد نظرا للعلاقة الوثيقة بين عمل الجيش وعمل المخابرات العامة ، ولعل أبلغ عبارة تقال فى تصوير هذه العلاقة هى أن العمل فى المخابرات العامة يمثل الخلفية السياسية والوطنية والداخلية ذات المستوى الرفيع التى لابد منها لقائد الجيش ، وقد فطن الرئيس السادات إلى هذه العلاقة الهامة ، بل قل إنه كان أول من فطن اليها وقد طبقها مع احمد اسماعيل ، ثم مع الفريق أول كمال حسن على .

وعندما قويت عند الرئيس السادات مبررات عزل الفريق صادق وبخاصة بعد ما حدث من تقصيره فى تبليغ القادة توجيهات الرئيس بشأن الاستعداد للحرب ، وخوضه فى الموضوعات السياسية وحديثه

للجيش عن خلافاته مع رئيس الوزراء ، وما طلبه من الأسلحة والمعدات فى قائمة طويلة تحمل طابع التعجيز ، عند ذلك استدعى الرئيس السادات احمد اسماعيل ، واخذ يحادثه فى أمور مختلفة بينما هما سائران فى حديقة بيت الرئيس ، ثم سأل السادات صاحبنا عن الصفات التى يراها واجبة فيمن يتولى وزيراً للحربية ، وأخذ صاحبنا يسرد هذه الصفات معبرا عن رأيه ، فلما إنتهى من حديثه قال له الرئيس « إن هذه الصفات تتوفر فى شخصك ، ولذلك اخترتك لهذا المنصب ، استعد للمعركة وعلى بركة الله » وطلب الرئيس منه أن يبقى الأمر سرا عسكريا حتى يذيعه الرئيس .

وفى السادس والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٢ صدر قرار الرئيس بتعيين الفريق أول أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة الحربية ، وأدى صاحبنا اليمين القانونية ، وبدأ مهامه فى الإعداد ، وعاد الرجل الذى عزل لواء برتبة فريق أول وخلف الفريق صادق فى الوزارة وقد خلفه الفريق صادق من قبل فى رئاسة الأركان .

واجب واحد

ومنذ اليوم الأول ركز احمد اسماعيل على تعميق مفهوم العسكرية عند ضباطه وجنوده ، وكان لا يفتأ يكرر أن للقوات المسلحة واجباً واحداً ، وواحداً فقط ، هو أن تؤمر بالقتال فتقاتل ، وهكذا أبعد الجيش عن مجرد التفكير فى الخوض فى أى مجال من المجالات التى طاب لكثيرين من القادة من قبله ان يزجوا بالجيش فى غمارها .

قيمة المقاتل

وأعطى احمد اسماعيل للعسكرى المصرى قيمته الحقيقية فى وطنه ، وكان الرئيس السادات قد سبقه فى هذا الخط بقراره الشجاع الذى اتخذه بطرد الخبراء السوفيت ومن يومها أحس رجال القوات المسلحة المصرية بذاتهم و مسئولياتهم الكاملة عن وطنهم وبخبرتهم فى اتخاذ قراراتهم ، وبكرامتهم على أرضهم ، وبخبرتهم الحقيقية التى لم تكن تقل عن خبرة هؤلاء الخبراء ، وجاء أحمد إسماعيل ليكرر على مسامع العسكرية المصرية فى كل موقع أن السلاح بالجندى ، وليس الجندى بالسلاح ، ولم يكن غريبا إذن ما أبداه هؤلاء الجنود فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ حين وقفوا وجها لوجه امام الدبابات تدمرها الصواريخ يلقونها بأيديهم عليها .

بما فى أيدينا

وواجهت احمد اسماعيل مشكلة السلاح فلم يهتم لها ، وانما ذهب يستغل السلاح الموجود أقصى ما يكون الاستغلال ، ووطنّ نفوس مقاتليه على الاعتماد على هذا السلاح المتوافر من دون ان يبنوا خططهم على أسلحة تم التعاقد عليها ولم ترد بعد ، وهكذا استطاع صاحبنا حقيقة ان يفلت بالجيش من ان يكون تحت رحمة الاتحاد السوفيتى .

وبدأ احمد اسماعيل يطلب ويشرف على إجراء الدراسات العلمية المتصلة بالحرب ، ودرست قواتنا المسلحة المد والجزر ، وطول النيل

والنهار ، وكل عوامل الطبيعة التى لها دخل مباشر أو غير مباشر فى عملية العبور والحرب حتى انتهت الى تحديد أنسب الأوقات .

٨٠ ٪ من الاحتياط !

ووجه أحمد إسماعيل اهتماما خاصا إلى دراسة نفسية المقاتل الاسرائيلى واستعان على ذلك بجهود المخابرات العامة وأجهزتها ، فتوصل الى مدى الظلم الذى يحسه اليهود الشرقيون حين يجدون ٨٥٪ منهم يشغلون الرتب الصغيرة فى جيش العدو ،ولعل من أهم المعلومات التى توصلت اليها قواتنا المسلحة وافادتها خير افادة فى تحقيق نصر اكتوبر ان ٨٠ ٪ من الجيش الاسرائيلى قادة وجنودا من الاحتياط ، وهنا تظهر خطورة عنصر المفاجأة الذى استخدمته قواتنا أروع ما يكون الاستخدام .

والخلاصة أن هذه الدراسات وضعت اسرائيل أمام قواتنا المسلحة فى حجمها الحقيقى ، ومشكلاتها الداخلية ، وطوائفها المتناقضة ، واحزابها المتناحرة ، واقتصادها المتضخم ، وعندئذ عرف جيشنا الى أى مدى ينتشر الضعف والانحلال فى هذه الدولة وجيشها الذى لا يقهر .

وعلى اليد الأخرى كان احمد اسماعيل يؤكد لقواتنا المسلحة أن أهم اسباب هزائمنا أمام العدو هى الخيانة والتآمر ، والدليل على ذلك اننا كنا ننتصر على اسرائيل دائما فى المعارك الالتحامية التى خضناها معها فى هذه الحروب .

مرض الخنادق

كان ايمان أحمد إسماعيل بضرورة الحرب لا يحده حد ، وكان إذا لفت نظر جنوده إلى الوضع الدفاعى الذى اتخذه جيشنا عبر عن ثقته فى أننا لن نخرج من هذه الحالة إلا بجهد القوات المسلحة ، وكان الرجل دائم التعبير عن أمله فى القضاء على ما أسماه « مرض الخنادق » يقصد بقاء قواتنا المسلحة فى وضع الاستعداد للدفاع ، والهرب إلى الخنادق للاحتماء بها من وابل قنابل العدو .

الزمن

ولكن أحمد اسماعيل لم يقيد نفسه بمفهوم من مفاهيم الحرب التقليدية ، ولا بالآمال الطموحة فى الحرب الشاملة التى تبيد وترمى فى البحر ، ولا بالحرب القاضية التى لن تترك رجلا فى إسرائيل على قيد الحياة ، إنما كان يضع فى ذهنه واعتباره عاملا أخطر من هذه العوامل هو عامل « الزمن » و كان الرجل يصدر فى تقديره لعامل الزمن عن مشاركة للرئيس أنور السادات فى فهم عميق لكل أبعاد المعركة والموقف مع إسرائيل ، وأمام العالم .

وكان الرجلان فى تقديرهما لعامل الزمن ينظران بثاقب نظرهما إلى الحالة المتجمدة التى وصل إليها الموقف العربى ، وهى الحالة التى سميت باللاحرب واللاسلم ، ولم تكن خطورة هذه الحالة تكمن فى عملية الاستنزاف المستمرة الناشىء عنها ، ولا فى حالة القلق المترتبة عليها فحسب ، وإنما كان الأمر الأهم والأخطر فى هذه المشكلة ، وهو

احتمال استمرار هذه الحالة على ماهى عليه ، وعندئذ تتجمد القضية العربية ، ويضيع الحق العربى تبعا للأمر الواقع ، ويأخذ الاحتلال الإسرائيلى شكلا طبيعيا بالتقادم .

الله أكبر

كان لابد إذن من كسر حالة الجمود هذه ، ولم يكن هذا ليتأتى من دون حرب ، ولم يكن هناك خلاف على هذه الفكرة ، ولكن الخلاف كان حول إمكانية قيامنا بهذه الحرب ، هل نستطيعها أم لا ؟ وكان الرئيس السادات مؤمنا كل الإيمان بأننا نستطيعها ، ونستطيع الإعداد لها ، وكان أحمد إسماعيل كما يقول الأستاذ مصطفى أمين هو ذلك الرجل الذى رأى النور مع أنور السادات فى أحلك ساعات الظلام ، الرجل الذى آمن بنظرية أنور السادات العجيبة « بأن شجاعة الجندى المصرى ممكن أن تعوض مصر عما ينقصها من الأسلحة ، وأن كل اسحلة الدنيا لا تنصر الأرواح الضائعة ، فكان نداء « الله أكبر » سلاحا له قوة الدبابات و الطائرات والصواريخ » .

سلامة قواته

كان أحمد إسماعيل مؤمنا بضرورة قيام حرب يقاتل فيها الجندى المصرى قتالا حقيقيا مع العدو ليسترد كرامته ، وليرفع الشعب المصرى رأسه عاليا ، بيد أن هذا لم يدفع الرجل إلى المخاطرة فى أى لحظات الاعداد أو الحرب ، فقد كان حريصاً كل الحرص

قواته ، وقد عبر عن ذلك بقوله « **كنت أعرف جيدا معنى أن تفقد مصر جيشها ، إن مصر لا تحتمل نكسة ثانية مثل نكسة يونيو سنة ١٩٦٧** ، واذا فقدت مصر جيشها فعليها الاستسلام لفترة طويلة » ، وهو قول يستحق عليه صاحبه من ثواب الله جل علاه ، أضعاف ما يسعنا من تقدير وثناء

وقد ظل هذا الإيمان يلازم أحمد إسماعيل حتى بعد خروجه من المعركة ، أو قل إنه كان يعبر عن سعادته بما استطاع تحقيقه فى هذا الصدد ، فكان يقول اننا حققنا انتصارا مضاعفا لأننى تمكنت من الخروج بقواتى بعد التدخل الأمريكى السافر فى المعركة ، وكانت هذه القوات قادرة على الحرب واستمرار القتال ، وثابتة فى مواقعها فى شرق القناة »

بل لقد كاد حرص أحمد إسماعيل على سلامة قواته يتحول عند بعض النقاد إلى مثار أنتقاد ، ولم يكن الرجل ليقلل من قيمة رأى هؤلاء ، ولكنه كان مصمماً باستمرار على المحافظة على سلامة قواته ، لأنه يعرف ضخامة الجهد الذى أعطته مصر لإعادة بناء الجيش ، وهكذا **استطاع المشير أن يوفق بين ما بذل من جهد لا يمكن أن يتكرر بذله بسهولة ، وبين تحقيق الهدف من العمليات ، وفى هذه الموازنة التى استطاعها أحمد إسماعيل سر من أسرار عظمته ، وسر من أسرار ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .**

اختيار القادة

وفيما قبل الحرب حرص أحمد إسماعيل على تعيين القادة والرؤساء من الضباط الممتازين علما وخلقا ، الذين تمرسوا فى القيادات و والوظائف حتى وصلوا إلى مراكزهم عن طريق العمل الجاد والخبرة المكتسبة .

ولم يكتف الرجل فى تكوينه اختياره لقواده بذلك فحسب ، وانما حرص على توفير روح الفريق فى القيادة المصرية وعملها كطاقم واحد مترابط يكمل بعضه بعضا من دون حساسية ولا تناحر بين القواد بعضهم وبعض ، ووفق الله الرجل لما أراد فكان هذا الترابط الكامل بين القيادات المشتركة دعامة أساسية فى نجاح خطط العمليات وكفاءة تنفيذها بدقة فى توقيتاتها المحددة .

الجولات العربية

وقام المشير ببعض جولات عربية ، استطاع أن ينسق من خلالها الجهود العسكرية العربية ، وأن ينمى التضامن السياسى ، وأن يزرع الثقة فى نفوس القادة العرب وقادة الجيوش فى جيش مصر وفى معركة مصر ، وكانوا جميعا شبه حيارى بين ما يؤكده أحمد إسماعيل الذى كان ينال منذ اللحظات الأولى ثقتهم لما لمسوه منه من تأكيده بقرب المعركة ، وبين المعلومات الأجنبية التى تجمع على خلاف ما يقول ولكنهم اكتشفوا أخيرا كيف كان الرجل المصرى وجيشه المصرى على

أعلى درجات الصدق والبذل والعطاء . ولعل من ابرز زيارات أحمد إسماعيل العربية زيارته للسعودية التى صحبه فيها المغفور له الملك فيصل إلى الكعبة ، فى سكون الليل !

وكان المشير أحمد إسماعيل فى مباحثاته يصر على أن تحدد كل حكومة من الحكومات العربية ما تستطيع تقديمه إلى المعركة على وجه دقيق ، ولم يفقد إيمانه برسالته ولا ثقته بنفسه كقائد يوما من الأيام ، وكان يعلن بإصرار أنه حتى لو بقيت مصر وحدها فلابد أن تخوض المعركة وأن تحقق النصر .

من أجل المعركة

وقد توالت على أحمد اسماعيل بعد، تعيينه وزيرا للحربية فى مصر ، الصلاحيات والمناصب العربية ، ومكنته هذه المناصب من التخطيط للمعركة على المستوى القومى ، ففى الحادى والعشرين من يناير سنة ١٩٧٣ اختير قائدا عاما للقوات المسلحة لدولة اتحاد الجمهوريات العربية والتى كانت تضم مصر وسوريا وليبيا وبعدها بأسبوع وأحد فى الثامن والعشرين من يناير اسندت إلى الرجل وظيفة القائد العام للجبهات الثلاثة (الشرقية والشمالية والجنوبية) بقرار من مجلس الدفاع العربى بالجامعة العربية ، ولم تكن هذه المناصب قبل ذلك شاغرة تنتظر من يشغلها ، ولكن الحق أن الاستعداد المصرى النشط للمعركة المصيرية هو الذى خلق هذه المناصب جميعا .

وقد أعلن الرئيس السادات فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٢ عن تشكيل اللجنة العليا للإعداد للمعركة برئاسته ، وكان أحمد إسماعيل عضوا فى هذه اللجنة ، وتوالت بعد ذلك اجتماعات مجلس الأمن القومى ، واجتماعات أخرى على مستوى عال كان الرئيس يرتب فيها جميعا للنواحى المختلفة المتعلقة بالمعركة .

العرق يوفر الدم

أما فى الجيش فقد كان أحمد إسماعيل من أكثر المؤمنين بأن العرق يوفر الدم ، ولهذا كان ميالا باستمرار إلى التدريب مهتما إلى أقصى مدى بالتربية الميدانية للأفراد وبلياقتهم للقتال ، وكان حفيا بإجراء المناورات العسكرية من آن لآخر ، وتجهيز مسرح العمليات والتدريب عليه ، وتجربة كل خطة قبل تنفيذها مهما كلفت من وقت وجهد ونقد .

أثمن سلاح

وكان رحمه الله يحرص على أن يشارك جنوده فى حياتهم العسكرية ، وكان كثيرا ما يزور معسكراتهم ومناطق تجمعهم حتى فى المواقع الأمامية والخنادق والملاجىء تحت الأرض ، وكان يصرُّ على أن يشارك الجنود طعامهم الذى يأكلونه فى الميدان دون تمييز ، وكان يبدى اهتماما كبيرا بملابس الجنود ومهماتهم ويتأكد من وصولها لهم فى الأوقات المحدودة ، ويوصى بزيادتها وتطويرها عند الحاجة ، وكثيرا ما كانت الشئون الأدارية تستأثر بفترات طويلة من وقته ولكنه كان مهتما

به مقدراً أهميتها ومثنيا دائما على جهود رجالها ، أما المرضى والمصابون فكانو يحظون بزيارته وعنايته وتوصياته واهتمامه بعلاجهم فى الخارج متى اقتضى الأمر ذلك ، ولم يكن ذلك كله إلا تطبيقا منه للمبدأ الذى آمن به من أن الجندى المقاتل هو أثمن سلاح فى المعركة .

برج العرب

وطوال الفترة التى سبقت المعركة فى ١٩٧٣ كان أحمد اسماعيل يختفى من مصر ليظهر فى سوريا ، ويختفى من سوريا ليظهر فى موسكو ، وهكذا دواليك ، وحضر أحمد إسماعيل مع السادات والرئيس حافظ الأسد اجتماعهما التاريخى فى برج العرب فى ابريل سنة ٧٣ ورأس اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية والمصرية الذى عقد سرا فى اغسطس ٧٣ وفى الأيام الأخيرة التى سبقت الحرب كان أحمد اسماعيل يكثر من زيارة المواقع المتقدمة ، وكان حريصا على أن يطمئن بنفسه على الابتكارات التى توصل اليها جنودة ، وعلى استحكامات الأمن ، فكان لايفتأ يبادل بين سؤالين : أورنى ماذا ابتكرتم ؟ وهل أحس العدو بنية الهجوم ؟

وفى نهاية الاجتماع التاريخى الذى عقده المجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية قبيل الحرب بأسبوع عبَّر الرئيس السادات عن مسئوليته التامة عن قرار الحرب ، وكأنما اراد أن يبث الثقة والاطمئنان فى نفوس قواده الى أبعد حد ، ولكن أحمد إسماعيل قال للرئيس : إننا نشترك معك ياسيادة الرئيس فى المسئولية فجميعنا مسئولون عن بلدنا مثلكم .

ولعل أبرز ما حرص عليه أحمد اسماعيل ومعاونوه هو التمويه والخداع ، ولعل حرصه الشديد على هذين الخلقين يرجع إلى إيمانه العميق بأهمية تملك عنصر المفاجأة ، ولقد استقرأت المعاهد العسكرية عمليات الخداع والتمويه التى استخدمها الجيش المصرى فوصلت الى اكثر من خمسين عملية ، من ذلك أن مسرح العمليات نفسه تم تجهيزه تحت ستار تحسين الدفاعات الموجودة بينما كان يجهز من الداخل لعملية الهجوم الحقيقية ، وأعلن المشير انه سيسافر إلى رومانيا يوم الثامن من أكتوبر وهو يعلم انه لم يكن له أن يسافر ذلك اليوم . وظلت قواتنا المسلحة تتدرب وفى اعتقادها أنها ستهجم بالليل أو فى آخر ضوء للنهار أو بعد آخر ضوء حتى توهم الجميع أننا سنهجم ليلا ، ثم هجمنا حين يكون النهار أوضح ما يكون ، وكان أحمد إسماعيل من مؤيديفكرة بناء الأهرام والمصاطب العالية على الضفة الغربية للقناة حتى تكون ساترا يحيط تحركاتنا بسياج من السرية .

وفى محيط العائلة كان المشير مدعوا على الإفطار يوم الثالث من أكتوبر فى منزل أخيه اللواء محمود انيس ، وكانت ابنة اخيه تعتزم السفر إلى زوجها وهو من الدبلوماسيين المصرين فى الهند يوم السادس من أكتوبر فلم يبد أحمد إسماعيل انطباعا ما ، ولكنه لم يستطيع أن يظهر نفسه فى موقف المتكتم لأمر ما حتى لا يثير أى استفسار ، فقال المشير لابنة أخيه ، وهل سيحضر زوجك لأصطحابك ؟ فقالت : لا :بالطبع ، فقال لها فى تدليل الأب : إذن لا تسافرى .

وكان الرئيس السادات قد نبّه إلى أنه عندما تأتى ساعة الصفر فلا بد من المحافظة التامة على الطائرات المدنية الموجودة فى المطار ، فلمّا بدأ ترحيل العائلات الروسية قبيل الحرب مباشرة ، استنتج وزير الطيران المدنى أن شيئا قريبا سيحدث ، فأمر من تلقاء نفسه بإيقاف جميع الرحلات ، اذيع هذا النبأ فى جميع مطارات العالم وعلم احمد اسماعيل وهو القائد اليقظ بقرار وزير الطيران فبادر إلى الاتصال به وطلب منه إعلان عودة الطيران إلى حالته الطبيعية ، والاعتذار بأن هناك أعطالا فنية أدت إلى هذا التوقف ، واستمر من حولنا فى حالة التخدير إلى أن أفاقوا منها ضحى السادس من اكتوبر

يحيط التمويه بسياج من التمويه .

ومع كل ذلك كان احمد اسماعيل حريصا على أن يحيط التمويه بسياج من التمويه ، فلم يتماد فى خطط الخداع إلى الحد الذى يظهر فيه تكلف الخداع ، ومن ذلك أن أحد كبار مساعديه أشار عليه أن يتناول غداء يوم الجمعة الخامس من أكتوبر سنه ١٩٧٣ فى نادى الجزيرة زيادة فى الإيهام ، ولكن أحمد إسماعيل لم يوافق لانه لم يكن من عادته الذهاب إلى نادى الجزيرة للغداء ولا لغير الغداء ، فإذا ذهب من باب التضليل فقد يلفت هذا الانظار الى الحقيقة نفسها .

ولعل أبلغ عبارة تقال لتصوير جو التمويه والخداع ما يروى من أنه عندما صدرت الأوامر للطيارين بالإقلاع ساعة الحرب سألوا : هل لنضرب فعلا ؟ أما أنها مناورة تدريبية جديدة !!

صلّى الفجر

فلما بزغ فجر السادس من أكتوبر قام أحمد إسماعيل من نومه فصلّى الفجر ثم صلى ركعتين أخريين لله ، ثم ذهب إلى مكتبه فى وزارة الحربية كعادته ، فصرَّف الأمور الروتينية اليومية ، وكأنما كان هذا اليوم كغيره من الأيام ، وفى الحادية عشرة توجه مع اللواء حسن الجريدلى سكرتير عام الوزارة إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فاتصل بقادة الفرق والجيوش والأسلحة جميعا ، واطمأن من كل واحد منهم على أحوال قواته ومهماته وأسلحته .

وفى الواحدة والربع بعد الظهر دخل الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة يصحبه قائدها العام أحمد إسماعيل إلى غرفة قيادة العمليات ، وبقى أحمد اسماعيل فى غرفة العمليات حتى اليوم السادس عشر من اكتوبر حين خرج ليستقل مع الرئيس السادات السيارة المكشوفة التى أقلتهما إلى مجلس الشعب حيث ألقى الرئيس خطابه التاريخى .

وفيما بين هذين اليومين أذهل الرجل معاونيه بصبره الذى لا ينفذ ، وابتسامته التى لم تغب عن وجهه حتى فى احلك اللحظات ، واكتشف القواد الذين عملوا مع أحمد إسماعيل فى هذه الحرب سر عظمة القائد الذى كان يرى دائما الفرق بين المغامرة والحرب .

كان جنديا

كان أحمد اسماعيل فى حياته جنديا ولم تكن الجندية عنده إلا بذل الجهد فى تحقيق النصر ولم يخطر بباله قط أن الجندية مغنم أو انتهاز فرصة لتحقيق مجد شخصى ، وكان طوال حياته إنساناً بسيطاً يميل إلى البعد عن المظاهر ، والترفع عن الصغائر ، والإصرار على الهدف ، والتفانى فى العمل ، والشجاعة فى الحق ، كان عزوفاً عن الوساطة ، شغوفاً بنصرة الحق ، راعياً لجنوده ، يحرص على راحتهم ويعمل على تأمين مستقبلهم ورعاية أسرهم . وكان رحمه الله شديد الاعتزاز بنفسه وهو مع ذلك جم التواضع سريع الألفة مع الناس . وكان ميالاً للضبط والربط ، متمسكاً بالتقاليد العسكرية والقيم الدينية محبا للصراحة والنظام دقيقا فى كل تصرفاته . ولم يكن ميالا للشهرة ، ولم يحاول أن يسعى إليها فى أى من الأوقات ، وكان دائما ما يفضل العمل الصامت دون إعلان ، ولم يكن من عادته أن يتحدث عن سلبيات من سبقوه ولكنه كان يقدم البديل بعمل ما يجب أن يكون ، فإذا سئل قال إنه ليس من حقه الحديث فيما لا يخصه من أمور .

وكانت له من رجولته : قوة شخصية ، ودماثة خلق ، وصراحة فى الحق ، وسعة فى الأفق .

لا يخرج عن التقاليد العسكرية

كانت العدالة تجرى فى دم أحمد إسماعيل ، وكان حريصاً على تطبيقها

تطبيقا مطلقا لا تأخذه فى ذلك لومة لائم ، ولا عتاب صديق ولا شعور عائلى ، ولا عاطفة قرابة ، ولا مصلحة خاصة ، وكان صاحبنا لا يخرج عن التقاليد والإجراءات العسكرية فيما يتعلق بنفسه وهو وزير ، فلما مرضت زوجته وقرر الأطباء سفرها للعلاج بالخارج أرسلها إلى القومسيون الطبى حتى يتقرر ذلك رسميا ، وفعل ذلك مع أخيه اللواء محمود أنيس ، بل إنه تقدم بنفسه فى مرضه الأخير إلى وزارة الصحة فلما تقرر سفره إلى الخارج رفض أن يتقاضى بدل سفر أو بدل علاج ، ولم يكن رحمه الله يعلم أن هذا هو مرضه الأخير ولم يعتمد أحمد اسماعيل فى حياته على الوساطة ولا المحسوبية ، وكان حريصا ألا يكون هو معتمداً عليه فى هذه الناحية ، وقد ربى أولاده جميعا على مواجهة أمورهم بأنفسهم فهداهم الله إلى هذا الخلق المتين ، فأصر ابنه الأكبر الاستاذ محمد أن يترك العمل فى جهاز المخابرات حين أتى والده ليجلس على قمته .

وكان فى قيادته حريصا على أن يزرع فى نفوس مرءوسيه جميعا احترام مبدأ تسلسل القيادة ولم يكن يقبل أن تعرض عليه موضوعات عن غير الطريق القانونى ، وهكذا أعطى الرجل لمرءوسيه ومعاونيه الإحساس بالبيئة العسكرية ، فنال كل ذى حق حقه .

إنكار الذات

وكان احمد إسماعيل مثالاً فى التواضع وإنكار الذات ، فلم يكن يفخر بما يحق له أن يفخر به ولا يتحدث عما أداه ، فلما سئل عن شعوره بعد حرب أكتوبر قال إنه شعور الجندى الذى أدى واجبه ،

وعقب بقوله إنه كان مجرد أب لواضعي الخطط يستشيرونه عند اللزوم ، ولما انعقد مجلس الوزراء المصرى ليستمع من أحمد إسماعيل إلى تفاصيل المعركة أظهر الرجل كل أدوار القواد الصغار والكبار ، وتجاهل فى عرضها الدور الذى أداه .. تحدث عن الجندى المصرى الشجاع المؤمن الجسور ولم يتحدث بكلمة واحدة عن القائد العام ، وقد فعل نفس الشىء فى ندوة نقابة الصحفيين حول متغيرات اكتوبر فكان يقول وهو يقدم معاونيه من قيادات الاسلحة التى انجزت المعركة : « لسنا وحدنا الذين حققنا النصر ، إنها معركة اسحلة مشتركة » ، وعندما ذهب المشير يفتح معرض الغنائم الذى أُقيم بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ قال : ليس من حقى أن أفتتح هذا المعرض ، إنه من حق هذا الجندى الذى صاد أكبر عدد من دبابات العدو ، وافسح المشير المجال للجندى عبد العاطى ، ناوله المقص فقص . شريط الافتتاح وفيما قبل حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ لم يكن أحمد إسماعيل يوافق على الإدلاء بأحاديث تليفزيونية أو صحفية وكان يستنكر على الذين يطلبون منه مثل ذلك الطلب قائلا : « أتحدث عن ماذا ؟ » .

ومن أبلغ ما قيل فى وصف تواضعه قول الأستاذ محمد زكى عبد القادر وما عرفت رجلا رفعه تواضعه إلى أعلى الدرجات ، ورفعه صمته فجعله حديث العاملين مثله ، عسكريا من رأسه الى قدمه يدرك أن الكلام ليس صنعته ولكن العمل والجهد ، ويؤمن أن الصمت نصف الطريق إلى النصر ، ولم أعرف رجلا مثله خرج من الظلال إلى الضوء الباهر فى لمحة جزاء وفاقا للعمل الصامت والصمت العامل . وكان أحمد إسماعيل رحمه الله نموذجاً للالتزام طيلة حياته العسكرية ، والذين

عاشروه فى مراحل مختلفة فى هذه الحياة لا يستطيعون أن يقدروا ان التزامه فى مرحلة منها كان يفوق التزامه فى مرحلة اخرى ، وانما كان التزام الرجل من نوع فريد زادت مسئولياته أو قلت ، وحان وقت الجد والملاحظة أو لم يحن ، ولكن من أمثلة ذلك ما روته زوجته : انه ذهب إليها يوما فقال : «انى مضطر للسفر فى مهمة رسمية مع مجموعة من الزملاء ولكن أرجوك لا تسأليني عن جهة سفرى لأن ذلك سر لا استطيع أن أبوح به لأحد وكل ما استطيع قوله أنه سيأتيك شخص ليسلمك بعض الخطابات مني ويتسلم الرد منك » وظلت زوجته على هذا الحال أربعة أشهر حتى جاءتها مكالمة تليفونية منه فى موسكو ، ساعتها فقط عرفت أن زوجها كان قد سافر من يومها للاتحاد السوفيتى .

ابتسامة عريضة

كان أحمد إسماعيل يتمتع بقدرة هائلة على الصبر وتحمل المفاجآت وكان يملك ابتسامة عريضة تضيع على أمهر المتقربين فرصة التقاط أى تعبير ينم عن حالته النفسية ، ولكن جسم الرجل دفع ثمنا لهذه القدرات من قدرته على تحمل أمراض القلب والرئة والسرطان ، وكنت تراه قبل وفاته وهو فى السابعة والخمسين من عمره فتحسبه تعدى هذا العمر بكثير .

يعرف كثيرا عن جنوده

وكان أحمد إسماعيل على دراية تامة بجنوده ومواقعه ، وقد ذكر الصحفى الأنجليزى - لويس هال فى مقال من مقالاته المتعددة التى كتبها للصحف الإنجليزية عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ إنه رافق المشير أحمد إسماعيل وهو يزور حصون خطوط برليف ، فوجده يعرف كثيرا عن جنوده بالاسم ، ويسألهم عن زوجاتهم وابنائهم ، ويقدمهم لمرافقيه من المراسلين على أنهم الأبطال الحقيقيون فى هذه المعركة ...أما أهل سيناء فقد قدموا علم سيناء لأحمد إسماعيل تقديرا منهم لمعرفته التامة بارضهم شبرا شبرا ، ثم اذن الله أن يكون أحمد إسماعيل على رأس الجيش الذى رفع علم مصر على أرض سيناء .

مؤهلات القيادة

ولو كان للقيادة أن تختار الرجل الذى يتولاها لاختارت أحمد إسماعيل ، قد تجمعت فى هذا الرجل كل مؤهلات القيادة الحقة من خبرة وعلم وشخصية ، وقد تحدثنا فى الفقرات السابقة عن ابرز الصفات التى كونت شخصية الرجل العسكرية ، وأما الخبرة فقد اكتسبها الرجل من تدرجه فى وظائف القيادة للوحدات والتشكيلات المختلفة منذ تخرجه وعمله فى القوات المسلحة كل هاتيك السنين ، قد عمل احمد اسماعيل قائد فصيلة (يوليو ١٩٣٨) ، وقائد سرية (نوفمبر سنة ١٩٦٢)

وقائد كتيبة (سبتمبر سنة ١٩٥٣) ، وقائد لواء (إبريل سنة ١٩٥٦) وقائد فرقة يوليو (١٩٦٢) ، وقائد الجبهة (يوليو ١٩٦٧) وهكذا كان الرجل كما كان يسمونه (رجل التشكيلات) لأنه كان على دراية تامة بنظم ومشكلات التشكيلات المختلفة من طول ما تمرس بالعمل فيها على اختلاف مستوياتها أو بعبارة أدق فى جميع مستوياتها وبالاضافة إلى هذا عمل بطلنا العظيم فى شعبة العمليات (سبتمبر سنة ١٩٦٠) ثم تولى رئاسة هيئة العمليات للقوات المسلحة(ابريل سنة ١٩٦٨) ولم يكن من الصعب عليه ان يتفهم طبيعة العمل فى هذه الهيئة ، واسباب القرارات والخطط التى تنتهى اليها ، وعلاقتها بهيئات الأركان والاسلحة ومن ثم كان قادرا أن يشيع روح التعاون والتلاحم بين آراء هيئة العمليات ورئاسة الأركان وقيادة الجيوش . وفى صعيد ثالث كان احمد اسماعيل أركان حرب الكتيبة الثانية مشاة (يوليو سنة ١٩٤٥) وأركان حرب لواء المشاة (ابريل سنة ١٩٤٩) وأركان حرب فرقة مشاه (اغسطس سنة ١٩٥٢) وأركان حرب المنطقة العسكرية (يونيو سنة ١٩٦١) وأركان حرب القوات البرية (يونيو سنة ١٩٦٤) وتولى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة (مارس سنة ١٩٦٩) وهكذا سلك الرجل التسلسل الطبيعى فى القيادة والأركان على نحو اراده له الله ، وخصه به ويقال إن أحدا ، غير أحمد إسماعيل لم يظفر طوال خدمته بهذا التسلسل المنطقى .

وفى صعيد رابع كان احمد اسماعيل رئيساً لهيئة التدريب بالقوات البرية (مايو سنة ١٩٦٥) ثم اصبح رئيسا لهيئة تدريب القوات المسلحة (يونيو سنة ١٩٦٧) وهكذا تكونت لاحمد اسماعيل من هذه الخبرات المتتالية فى هذه المجالات المتكاملة حنكة عسكرية جمعت خبرات القيادة والتشكيلات والأركان والعمليات والتدريب من حيث سار الرجل فى هذه المناصب كما يصعد الرجل السوى السلم الطبيعى فيؤدى به إلى الوصول إلى هدفه من دون إرهاق ولا فشل .

الخلفية العلمية

أما علم الرجل فقد نما يوما بعد يوم ، فقد حصل صاحبنا على دورات تدريبية فى عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ أحرز فيها تفوقا ملحوظا ، ولفت الانظار إلى مهارته وقدرته ثم تخرج فى كلية أركان الحرب ، وزاد على ذلك ما حصله من أكاديمية فرونز للعلوم العسكرية بالاتحاد السوفيتى ، ثم توج ذلك كله بتخرجه فى أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية .

على أن لأحمد إسماعيل مع العلوم العسكرية شوطا آخر حين اضطلع بتدريس هذه العلوم مرة تلو مره ، فى مدرسة الأسلحة والذخيرة (ديسمبر سنة ١٩٤١) وفى مدرسة المشاة (يوليو ٤٧) وفى الكلية الحربية (مارس سنة ١٩٥٩) وقد تخرج على يد المشير احمد اسماعيل فى هذه المعاهد العسكرية عدد كبير من رجال قواتنا المسلحة الذين يذكرونه استاذا متمكنا من مادته ، قديرا على تقديمها فى ابسط إطار ، ولم يكن صاحبنا يتخذ من فترات انتدابه للدريس فرصة يخلد فيها الى الراحة كما

يفعل البعض ، ولكنه كان يذهب فيتعمق الموضوعات التى كان عليه أن يدرسها لتلاميذه ، وكان يجد فى هذا الدرس من أجل الدرس متعة أى متعة ، وهو فى ذلك ليس إلا صورة من صور الفطرة النقية الخالصة التى تسعى الى العلم ما وسعها السعى .

جلسة التكريم

هذا ، وقد عقد مجلس الشعب المصرى جلسة فى التاسع عشر من فبراير سنة ١٩٧٤ لتكريم قادة القوات المسلحة وحضرها الرئيس السادات ، وأعلن فيها منح رتبة للمشير للقائد البطل أحمد إسماعيل على إعتباراً من السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، نال هذه الرتبة واستحقاق وبعد أن تدرج فى الرتب المختلفة تدرجا طبيعيا ولم يكن المشير كل ذلك فحسب ولكنه كان أول قائد عربى كبير فى العصر الحديث عبر الفانية الى الباقية وهو منتصر . وفى الرابع والعشرين من ابريل سنة ١٩٧٤ اختير المشير احمد اسماعيل نائبا لرئيس الوزراء فى الوزارة التى شكلها الرئيس السادات برئاسته .

الشىء المحزن !!

ولم يكن شىء يحزن أحمد إسماعيل بعد الحرب قدر ما أحزنه تهاون إعلامنا فى أبرز البطولات والإنجازات والانتصارات التى حققتها قواتنا المسلحة فى اكتوبر فى ١٩٧٣ وكان إذا رأى كتب الدعاية الإسرائيلية التى تحاول التقليل من آثار انتصاراتنا هاجت لواعج نفسه ويذكر الاستاذ عبد المنعم الصاوى نقيب الصحفيين فى ذلك الحين أن المشير كان يقول له فى

استنكار أنترك معركتنا يشوهها عدونا ويعرضها بصورة تخفى خزية من هزيمة ، فيهون علينا ما حققناه من انتصارات نتهاون فى تقديمه على وجهه الصحيح ، أليس من الظلم أن نحصل على هذا النصر ثم يستثمره عدونا بدلا من أن نعمق آثاره فى عقول الناس وضمائرهم !

على أن الرجل قد بذل وسعه فى هذا المجال أيضا فدعى الصحفيين إلى الجبهة واشهدهم على عظمة قواتنا المسلحة وروعة انتصاراتها ولبى دعوة نقابة الصحفيين وحدثهم عن حرب أكتوبر وألف بتكليف من الرئيس السادات لجنة عسكرية سجلت للتاريخ كل أحداث الحرب .

أما فضل احمد اسماعيل على الاعلام العربى ففضل لا يعد له فضل كثير من الاعلاميين ، ولو جمعت جهودهم الى بعضها جميعا ، ذلك ان هذا الرجل قد عبر بالاعلام العربى من مرحلة التضليل الى مرحلة الصدق واليقين ، وما بالك بالاعلام فى يونيو سنة ١٩٦٧ يصور للناس الهزيمة الساحقة التى وقعت فى اللحظات الأولى على أنها نصر مؤزر ثم يمضى فينمى هذا النصر طيلة أيام خمسة ، يزيد فى كل نشرة إخبارية من عدد الطائرات التى اسقطناها للعدو ، ومن عدد الدبابات التى دمرناها للعدو ، ومن عدد الجنود الذين اسرناهم وقتلناهم من العدو بينما العدو مشغول عن ذلك كله .لا بالحرب ، وانما بتوزيع الاسلاب والغنائم وتثبيت الاقدام والركائز .

أما جيشنا فى ستة اكتوبر فيصدر البيانات بيانا تلو بيان ، بعبور الواقع من وجهة نظر محايدة ، لا تبدى فرحتها بنصر ، ولا غرورها بقدرة ،

ولا زهوها بجولة ، وانما تلخص البيانات العمليات الحربية ، معطية الحقائق كاملة ، بل تقلل من حجم انتصاراتنا زيادة فى الدقة ، حتى استمع المواطن العربى من إذاعاته إلى حجم انتصار يقل عما تصوره اذاعات الاعداء والدول الكبرى وعندئذ ادرك الناس أن اعلامهم قد تحول الى مرحلة اخرى رائدها الصدق ، ويسودها الحق ، وتبتعد عن الضلال والتضليل بقدر ما يسيطر عليها من قبل .

حماسة النصر الحقيقية

ولم يطلب الجيش فى ١٩٧٣ من اذاعاتنا ان تفرض على مسامع الجماهير الاغانى الوطنية ولا أناشيد القتال ، وانما ذهبت الاذاعات العربية ساعة بعد ساعة تأتى الناس بما إعتادوه منها من برامجها فى الايام العادية حتى اذا جاء وقت اذاعة الانباء أذيعت فى صوت لا تشع منه الحماسة الجوفاء ، وإن شعت منه الحماسة التى تصل فى يسر وسرعة الى القلوب الحساسة لحماسة النصر .

من دون شبهة ضرر

وفى خلال الاعداد للحرب أمر أحمد إسماعيل ان يتواجد المحررون والمرسلون العسكريون مع القوات المسلحة قبيل لحظة العبور ، ولكن رجال الامن الحربى قدروا من خلال مسئولياتهم أن هذه الخطة قد تؤدى الى تجمع المراسلين والمحررين العسكريين بشكل قد يسفر للعدو عن نية الهجوم والاستعداد لعمل عسكرى كبير ، ولم يتدخل المشير فى عمل رجال الأمن الحربى ، بيد أنه عمل قدر طاقته على تحقيق هدفه من دون شبهة ضرر .

الصناعات الحربية المتطورة !

أما أهم شيء كان المشير يتمناه بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ فقد كان امله فى أن يرى العرب وقد اصبحت لهم قاعدة صناعية حربية واسعة تعزز أمنهم فى عالم تسوده الوحوش ، وقد مات أحمد إسماعيل وهو يود لورأى طائرة عربية ، ودبابة عربية ، وسلاحا عربيا ، وقد كرر الرجل للصحفيين مرة بعد مرة قوله إنه كله أمل فى أن يقتنع الجميع بأهمية سرعة تحقيق هدف إقامة قاعدة الصناعة الحربية العربية ازاء الايقاع السريع المتطور للعالم .

حياة اجتماعية هانئة

أما حياة الرجل الاجتماعية فقد كانت بلا شك من أهم العوامل التى ساعدته على النجاح فى حياته بما هيأته له من الاستقرار النفسى ، والراحة الوجدانية ، وقد تزوج رحمه الله فى أوائل الاربعينات من السيده سماح على الشلقانى ، وكان والدها طبيبا فى الزمالك وقد توفى فى صباها ، كما توفيت والدة أحمد اسماعيل فى صباه ، فكان لزوجته منه بعد زواجهما الاب والزوج ، وكان له منها الزوج والام ، وقد رزقهما الله بابنين وثلاثة بنات هم على التوالى : — الاستاذ محمد السكرتير الاول بالسلك الدبلوماسى ، وزوج اللواء المعتز محمود أمين ، وزوج الدكتور أحمد عبد اللطيف رمضان ، والدكتور محمود سيف اسماعيل المدرس بمعهد الأورام القومى بجامعة القاهرة ، وزوج الدكتور خالد ابو وافيه ، وكان المشير عليه رحمه الله لايخُص بيته إلا بالشطر الأقل من وقته ، إذ كان حريصا على تناول الإفطار بين ضباطه وجنوده ، وكان حريصا

أيضا أن يعود إلى وحدته بعد الغداء مباشرة ، وكان كلما ترق فى رتبته زاد من الوقت الذى يمضيه فى وحدته على خلاف زملائه إلا انه استطاع مع ذلك أن يسلك الطريق القويم فى معاملته لابنائه عطفا وحنانا ، وحزما وعدلا ، وتربية وتعليما وتوجيها وتقويما فلما كانت آخر مرة سافر فيها الى لندن للعلاج قال لهم وقد اجتمعوا فى وداعه : اعذرونى اذا لم اعطكم الوقت الكافى .. إننى أشكر أمكم أمامكم لأنها فهمت طبيعة عملى فاهتمت بكم وبتربيتكم اكثر منى ، ولقد نجحت فى ذلك ثم دمعت عينان لم تدمعا من قبل إلا حين كان يعانق جنوده فى أعقاب نصر أكتوبر العظيم .

مرض المشير

وفى اوائل صيف ١٩٧٤ سافر المشير أحمد إسماعيل للعلاج فى لندن بناء على نصيحة الأطباء المصريين ، وقرر الاطباء الانجليز أن يجروا له جراحة فى الرئة لإصابته بسرطان فيها ولكنهم اخفوا عنه الحقيقة وقالوا له إنها عملية تيبس فى الرئة ويستحسَن أن يحضر اجرائها زوجته أو ابنه ، وسافرت زوجته وابنه الأكبر وتمت العملية بنجاح ، وعاد احمد اسماعيل فى الرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٧٤ ، فقَبل جميع القادة الذين كانوا فى استقباله فى المطار ثم عاود نشاطه وباشر مهام منصبه بكل جد واخلاص ، وكان يعمل اضعاف ساعات عمله قبل السفر ، وكان يداوم على المرور على القوات فى مواقعها وعلى حضور المناورات والبيانات العملية أتاه المرض مرة ثانية فى نوفمبر سنة ١٩٧٤ واشتد عليه المرض هذه المرة فقاوم الالم فى صبر وشجاعة ، ولكن

الاطباء نصحوة بالذهاب مرة ثانية الى لندن ، وسافر الرجل فى الثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٧٤ ويشاء القدر أن يصاب بالتهاب رئوى عند وصوله إلى لندن ثم يكون من مضاعفات هذا الالتهاب جلطة فى الرئة بالاضافة إلى ما كان فى الرئة من ذى قبل ، وأخذ المرض يشتد على البطل يوما بعد يوم ، وكان الرئيس يتابع حالة المشير الصحية فى اهتمام وقلق بالغين ، فلما كان يوم الثلاثاء أول أيام عيد الاضحى المبارك أوفد الرئيس السادات الدكتور اشرف مروان والسيد فوزى عبد الحافظ الى لندن ومعهما طائرة خاصة ليكونا فى صحبة المشير ، وتحت تصرفه استعدادا لاى طارىء قد يتطلبه العلاج ، وعرض الرئيس الأمريكى فورد أن يرسل أكبر أطبائه إلى لندن للاشراف على علاج المشير حتى إذا تقرر سفر هذا الاخصائى من واشنطن الى لندن فى صباح اليوم التالى كان ملك الموت قد سبقه فصعد بروح أحمد إسماعيل الى السماء فجر ثانى أيام عيد الاضحى المبارك الاربعاء الحادى عشر من ذى الحجة ١٩٣٤ الموافق الخامس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

فى يوم العيد .

وجاءت الطائرة فى ثالث أيام عيد الأضحى بجثمان البطل القائد الذى رزق الله مصر على يديه بأعز أعياد نصرها ، فلما كان يوم الجمعة رابع أيام العيد خرجت جنازة الراحل العظيم من مسجد عمر مكرم بعدما أمَّ الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر المصلين . وبينما كانت جماهير القاهرة تشيع الراحل إلى مثواه الأخيرة كان المسلمون فى البقاع الأخرى يؤدون صلاة الغائب على روح الرجل العظيم .

بيان الرئيس السادات

وأصدر الرئيس السادات بيانا نعى فيه المشير قال فيه ينعى رئيس الجمهورية والقائد الاعلى للقوات المسلحة الى الشعب المصرى والامة العربية ابنا من ابنائها سيظل اسمه مقترنا فى التاريخ بامجاد العسكرية المصرية وبطولات العبور العظيم الى النصر ، المشير أحمد إسماعيل على نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية مضت نفسه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بعد ملحمة من الألم والشجاعة طواها على الناس جميعا وهو يبذل آخر شعاع من نفسه فى تدعيم وتطوير القوات المسلحة لنظل الدرع الحامية لكل حقوق ومنجزات شعبنا العظيم .

« مضى إلى ربه الرجل الذى اشرف معى ومع الاخوة السوريين على إعداد وتدريب جيوش النصر وساهم بقدرته العسكرية الفذة فى تحويل الهزيمة الى نصر وفى تحطيم خط بارليف واسطورة جيش اسرائيل الذى لايهزم » لقد كانت القوة الحقيقية لأحمد إسماعيل على فى **أنه بعد إيمانه بالله آمن بالجندى المصرى وبشجاعته وبطولته واستعداده للتضحية بعد كما كان رحمه الله يرى ان ايمان الجندى بالله هو نصف المعركة وان ايمان الجندى بالوطن هو نصفها الاخر .**

لقد كان أحمد إسماعيل فى ايام الهزيمة قائد خط الدفاع الأخير ، وكان فى أيام النصر قائد خط الهجوم الاول وسيبقى فى وجدان الأمة كلها وفى تاريخها رمزا شامخا للعسكرية المصرية والشجاعة العربية »

للمؤلف

١ - الدكتور محمد كامل حسين عالما ومفكراً وأديبا .
٢ - مشرفة بين الذرة والذروة .
٣ - كلمات القرآن التي لا نستعملها .
٤ - من بين سطور حياتنا الأدبية .
٥ - يرحمهم الله .
٦ - أحمد زكي حياته وفكره وأدبه .
٧ - الحلول الجزئية هي الأجدى . . أحياناً .
٨ - الشهيد عبد المنعم رياض . . سماء العسكرية المصرية .
٩ - مايسترو العبور المشير أحمد إسماعيل .

تطلب جميع هذه المؤلفات من الهيئة العامة للكتاب ، والمعرض الدائم للكتاب بكورنيش النيل ، وتوزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

٨٤/٥٢٨٣

977-1405-05-0

This book

Although the militarian and historical library is full of several memorics written by the military leaders who were contemporary to the Arab-Israël War for quarter of a century (1948-1973), whether Arabic or Israéli, it is very evident that the leader who brought about the greatest victory during this period who was Ahmed Ismaël who left our world with no memorics at all.

Though he was not popular or known to the public, he dug out his military path in a most respectable way since his graduation in the Military College (1938). He might be the sole militarian that took over the leadership of all the military form from the small detachement up to the united Arab armies (Egyptian & Syrian). Furthermore, he was the commander of Defence Line in Port said during 1956 War. After the fall in 1967, he was the Frontier Commander then chief of staff (1969) (after Reiad). Inspite of that glorious history, he was displaced in the last days of the late President Naser.

With the correction movement of the late President El-Sadat in May 1971, he was appointed as the head of General Intelligence Beru, Then he was the commander of the Egyptian Army one year before October War when he managed to prepare, re-arrange and lead that army in 73-War.

Moreover, he was so reasonable and wise... he was neither decieved by the early glorious victory nor hurried to some illusive adventures in Sinai and therefore he greatly managed to keep safe all of his armies and to achieve the incredible victory. He was the conductor that helped the Egyptian Army to play the wonderful symphony created by Anwar El-Sadat.

Dr. Mohamed El Gawady

P.O.Box 177 Orman - Cairo.

AHMED ISMAÈL
The Conductor Of October War
(1917-1974)

Dr. Mohamed El-Gawady
State Prize of Literature (Biography)
Arabic Language Academy Prize of Literature

Dar el Atebaâ